

الأقسام في القرآن

(19) الثالث: انّ الأقسام إنّما تكون بما يعظمه المقسم أو يُجلّسه وهو فوقه واللّه تعالى ليس شيء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته، لأنّها تدل على باريّ وصانع. وقال ابن أبي الاصبع في "اسرار الفواتح": القسم بالمصنوعات يستلزم القسم بالصانع، لأنّ ذكر المفعول يستلزم ذكر الفاعل، إذ يستحيل وجود مفعول بغير فاعل وأخرج ابن أبي حاتم، عن الحسن، قال: إنّ اللّه يقسم بما شاء من خلقه، وليس لاحد أن يقسم إلاّ باللّه. (1) ولا يخفى ضعف الاجابة. أمّا الآول: فانّ معنى ذلك إرجاع الأقسام المختلفة إلى قسم واحد وهو الرب، مع أنّه سبحانه تارة يقسم بنفسه، ويقول: (فَوَرَبِّكَ لَنَذْخِشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ) (2)، وأخرى بالتين والزيتون والصفات والشمس، فلو كان الهدف القسم بالرب فما فائدة هذا النوع من الأقسام حيث يضيف نفسه إلى واحد من مخلوقاته؟ فانّ العظمة للّه لا للمضاف إليه، ولو كانت له عظمة فإنّما هي مقتبسة من الرب. وأمّا الثاني: فمعنى ذلك أنّه سبحانه جرى على ما كان عليه العرب في العصر الجاهلي، وقد هدم بعمله ما شرعه من النهي عن القسم بغير اللّه. وأمّا الثالث: فيكتنفه كثير من الغموض، ولا يعلم كيفية رفع الإشكال، وأمّا ما نقله عن ابن أبي الاصبع فيرجع إلى المعنى الآول، وهو أنّ القسم بالمخلوق قسم بالخالق. _____ 1 - الاتقان: 4/47. 2 -

مریم: 68.